ضمير الاصنام وكذا ضمير يستجيبون وان كان عبارة عن المشركين يكون المرفوع فاعله فقط وهو الاصنام لان ضمير يدعون
يرجع الى الموصول وهو فاعل قوله لا يستجيبون ضمير عائد على مفعول يدعون المحذوف وعاد عليه ضمير العقلاء لمعاملتهم اياه
معاملة العقلاء والتقدير والمشركون الذين يدعون الاصنام لا يستجيب لهم الاصنام الا استجابة كباسط كفيه
كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه فالماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه و
حاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذا ما يدعونه جماد لا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم
قوله الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الاستثناء مفرغ من اعم عام المصدر اي لا يستجيبون
شيئا من الاستجابة الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه اي مثل استجابة الماء من بسط على
ان اضافة المصدر الى من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله فان فاعلها الماء ومن بسط مفعولها
والاستجابة بمعنى الاجابة كما في قوله وداع دعانا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك
مجيب والتشبيه من المركب التمثيلي شبه حال الامتناع من دعاهم من المشركين وهي عدم
استجابتهم دعاء المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم للاصنام شيئا من الاجابة والنفع بحال
الماء الواقع مرأى من العطشان الذي يبسط اليه كفيه يطلب منه ان يبلغ فاه وينفعه
من احتراق كبده ووجه الشبه عدم استطاعة المطلوب منه اجابة الدعاء وخيبة
الطالب عن نيل ما هو احوج اليه من المطلوب وهذا الوجه اشبه عدم استطاعة المط
منه اجابة الدعاء وخيبة الطالب عن نيل ما هو احوج اليه من المطلق وهذا الوجه كما
ترى منتزع من عدة امور قوله وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها عبر عن العدم
بالقلة مبالغة في ايثار الصدق وانما ما الطرق من تهكم وهو عطف على قوله الا استجابة
اي شبه المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه
فبسط كفيه ناشرا اصابعه في عدم انتفاع كل منهما بسعيه كذا كذا والمشبه هو الراقم مقيدا بكونه
راقما على الماء وكذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقلي في شيء على ما ذهب اليه الطيبي نعم وجه الشبه
عقلي اعتباري والاستثناء مفرغ من اعم عام الاحوال اي لا يستجيب الاصنام لهؤلاء المشركين في
حال من الاحوال الا في حال كون المشركين مشبهين بمن بسط كفيه ولم يقبضهما وانهما مبسوطتان الى الماء
فلم يحصل على شيء لان الماء يحصل القبض عليه لا بالبسط اليه ولم يتم من المعنى لنشر الاصابع لان بسط الكف
انما يكون بنشر الاصابع واللام في قوله ليبلغ فاه متعلق بباسط وفاعل ليبلغ ضمير الماء والفاء فهو في
قوله وما هو ببالغه ضمير الماء والهاء ضمير الفم اي وما الماء ببالغ فيه ويحتمل العكس اي وما الفم ببالغ
الماء اذ كل واحد منهما لا يبلغ الاخر على هذه الحال فنسبة الفعل الى كل واحد منهما صحيحة قوله وقرئ و
الايصال وهو مصدر اصل على وزن فاعل بمعنى دخل في الاصيل كاصبح بمعنى دخل في الصباح قوله وقرئ تدعون بالتاء

فهو من تشبيه المعقول المقيد بامر متوهم كمن لا يحصل من سعيه على شيء هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك

بالتاء الفوقانية ومن يتعين ان يكون قوله الذين عبارة عن الاصنام بحذف العائد الذي
هو مفعول تدعون ولعل المص انما قدم لفساد هذه القراءة اياه قوله والمراد بهما الذل لا التسجود
سواء اريد بها حقيقته او لا لان الانقياد والاستسلام لا اختصاص له بالوقتين فان الباء في
قوله بالغدو بمعنى في اي يسجد له ما ذكر في هذين الوقتين قوله وتخصيص الوقتين مع ان انقياد
الظلال وميلانها من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاعها
لا يختص بوقت دون وقت بل هي مسلمة منقادة لله تعالى في عموم الاوقات ثم انه تعالى لما قرر
ان جميع الكائنات منقادة له تعالى وتخضع اجلالا له وتوقيرا عاد الى المشركين بان امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يسألهم سؤال التقرير قل من رب السموات والارض ولما تبين لهم ان يجيبوا بالاقرار بان لا رب
لهما سواه كلف تعالى رسوله ان يجيب عنهم بذلك تنبيها على انهم يقرون بذلك ولا ينكرونه ابته
ثم انه حكاية لاعترافهم به وتاكيدا له عليهم ثم الزمهم الحجة فقال ابعدا قراركم هذا تتخذون
من دونه اولياء ثم ضرب مثلا للذي يعبد الاصنام وللذي يعبد الله فقال هل يستوي الاعمى
والبصير يعني المشرك والمؤمن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان فانه تعالى
لما احتج اولا على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء يدعونهم من دون الله بكونها جمادات لا تحس
بدعائهم اياها ولا تدرك مقصودهم من الدعاء ولا تقدر على ان تجيب دعاءهم وثانيا بانها لا تملك ان
تجلب لنفسها نفعا وان تدفع عنها ضرا فضلا عن غيرها بعد ذكر هاتين الحجتين ان الجاهل بمثل هذه الحجة (من غيرها)
يكون كالاعمى وان العالم بها كالبصير ثم ذكر ان الجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات وان العلم بها كالنور وكما ان كل
احد يعلم بالضرورة ان الاعمى لا يساوي البصير وان الظلمة كذلك يعلم كل احد بالضرورة ان الجاهل
هذه الحجة لا تساوي العالم بها وهو المراد بقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور
قوله وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يستوي الظلمات بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق باعتبار ان الفعل
اسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وفي مثل هذا الفعل يجوز التذكير والتانيث والفاء في قوله تعالى
قل افاتخذتم سببية مرتبة للكلام الثاني على الاول وادخل همزة الانكار على السبب والمسبب انكارا على تعكيس الامر
وهو ان من علم انه تعالى رب السموات والارض وجب عليه ان يعبده ويوحده فهم جعلوا ذلك العلم سببا
للاشراك به ادخلت همزة الانكار على الفاء لان المنكر الاتخاذ بعد العلم والاقرار فانه اقبح من الاتخاذ بدونه قوله
والهمزة للانكار واعلم ان همزة الاستفهام اذا كانت للانكار على احد معنيين الاول لم كان كذا والثاني
لم يكن كذا والانكار هنا بالمعنى الثاني كما اشار اليه بقوله انهم اتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله تعالى
فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة
لذلك فنتخذهم كما نعبد الله اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه

Copyright © King Saud University